منهج سيبويه في تحليل الابنية الصرفية

باب (ما يبنى على افعل) انموذجا

د.غادة غازي عبد المجيد

كلية التربية .جامعة ديالى

مدخل :

تندرج دراسة الكلام العربي في مستويات عديدة لعل أبرزها :

المستوى الصرفي والمستوى النحوي ، وكلاهما صنوان لا ينفصلان ، بل يكمّل أحدهما الآخر ويعتمد أحدهما – أحيانا – في وجوده على الأخر ، وكثيرة تلك الدراسات التي تناولت المؤلفات النحوية بالبحث والتفصيل وأولت مناهجها أهمية كبيرة(1)، ولعل هذه العناية متأتية من تشعبّ النحو العربي وكثرة المصادر المؤلفة فيه ، ولكن ذلك لم يكن ليكون مانعا من دراسة المناهج الصرفية لهذه المؤلفات ، لاسيما إذا عرفنا ان معظم هذه المصادر – ان لم يكن جميعها – قد جمع بين النحو والصرف في أبوابه ، ولعل خير مثال على ذلك أول جهد نحوي وصل إلينا مدوّنا ، وهو كتاب أمام النحويين سيبويه ، إذ جمع في كتابه أبواب النحو الى جانب أبواب الصرف في تناسق يدل على نضج فكري في جمعه للمادة اللغوية ؛ لذلك حاول هذا البحث – قدر المستطاع – ان يلقي الضوء على باب من أبواب الصرف ليكون مثالا لبحث المنهج الصرفي في كتاب سيبويه ،وقد اختار البحث (باب ما يبنى على أفعل)؛ لأن عناصر البحث الصرفي تبدو واضحة فيه، ولإمكانية تحليل هذه العناصر لقصرها ؛ لأن طول النص يقود الى تحليل طويل لا يتفق و مساحة هذا البحث الصغيرة .

و لا بد من الإشارة الى ان البحث سيعتمد في قوامه على عرض ما لدى سيبويه في (باب ما يبنى على أفعل) وتحليله – قدر المستطاع – ومن ثم عرض ما لدى غيره من علماء النحو والصرف المتأخرين عنه وإجراء مقارنة بين المنهجين ؛ لان قيمة منهج سيبويه ستظهر إذا ما قورنت بمناهج غيره من النحويين مع مراعاة ان معظم المصادر ستكون صرفية قديمة وحديثة.

(باب ما يبنى على أفْعَل) في كتاب سيبويه :

أعتمد سيبويه (180هـ) في دراسته لهذا البناء على منهج قوامه العرض والتحليل والربط بين جزئيات هذا الموضوع ؛ حتى إننا نكاد لا نرى جزيئة صغيرة تتعلق بهذا الموضوع تفوته أو تخفى عليه ، فتكشف قراءة هذا الجزء من الكتاب عن ملامح هذا المنهج أولا ومحاولة سيبويه الإحاطة بكل ما يتعلق بهذا البناء من قريب أو بعيد ، ولعل ابرز ما يلفت النظر في هذا المنهج انه كان دراسة صرفية بحتة لم يتطرق فيها الى أي جانب نحوي يمكن ان ندخل فيه هذا البناء ، مما يدل على ان سيبويه اتبع منهج تأليف قسّم كتابه بموجبه الى جزأين أو قسمين: قسم نحوي خالص وقسم صرفي خالص ، ولا تختلط حدود القسمين بل تظهر حدودهما واضحة جدا للقارئ ، ولعلنا نكتشف المزيد عند تتبعنا لما قدّمه سيبويه في تحليله لهذا البناء وبتتبعنا لما قدّمه غيره في دراسة البناء نفسه ويظهر ذلك من خلال عرض نصوص سيبويه ومحاولة تحليلها.

وأول ما يلفت النظر في نصوص سيبوسه أننا نجده يفصل بين (أفْعَـل)البناء الخاص بالألوان و(أفعل) البناء الخاص بالعيوب والأدواء ، ويقدّم بناء (افعل) للألوان ، فيقول : ((أما الألوان فأنها تبنى على افعل ويكون الفعل على فَـعِـل يفعَـل ، والمصدر على فُعْلَةٍ أكثر)) (2) .

وبعد ذكره لما هو قياسي في الفعل الذي يصاغ منه البناء (أفعل) يذكر ما يمكن ان تتحمله حركة عين الفعل في صيغتي (الماضي و المضارع) ، فيقول : ((... وربما جاء الفعل على فَـعُلَ يفعُـل وذلك قولك: أدِم يأدَم أُدمة ، ومن العرب من يقول : أدُم يأدُ م أُدْمَة وشهِـب يشْـهَـبُ شُهْـبةً و قـَهِبُ يقهَب' قـُهـْبة، وكَهِبَ يكهب' كـُهْـبةً ، وقالوا كهُـبَ يكهُبُ كُـهْـبة ، وشَـهُـبَ يشهُـب شُـهْبة)) (3).

وهنا نلاحظ ان سيبويه استحضر لغات العرب الواردة في ابنية الافعال التي يصاغ منها البناء (أفعل) من جهة اختلاف حركة عين الفعل بين الكسر والضم ، وهذا يعني انه استحضر الافعال التي يمكن ان يتداخل في بنائها بابان من أبواب الفعل الثلاثي المجرد ، وهما الباب الرابع والباب الخامس ، على ان اصل الصياغة تكون من أفعال الباب الرابع . ثم يشير سيبويه الى انه قد يستغني عن الفعل المجرد بالفعل

(باب ما يبنى على أَفْعَل) في كتاب سيبويه :

أعتمد سيبويه (180هـ) في دراسته لهذا البناء على منهج قوامه العرض والتحليل والربط بين جزئيات هذا الموضوع ؛ حتى إننا نكاد لا نرى جزيئة صغيرة تتعلق بهذا الموضوع تفوته أو تخفى عليه ، فتكشف قراءة هذا الجزء من الكتاب عن ملامح هذا المنهج أولا ومحاولة سيبويه الإحاطة بكل ما يتعلق بهذا البناء من قريب أو بعيد ، ولعل ابرز ما يلفت النظر في هذا المنهج انه كان دراسة صرفية بحتة لم يتطرق فيها الى أي جانب نحوي يمكن ان ندخل فيه هذا البناء ، مما يدل على ان سيبويه اتبع منهج تأليف قسّم كتابه بموجبه الى جزأين أو قسمين: قسم نحوي خالص وقسم صرفي خالص ، ولا تختلط حدود القسمين بل تظهر حدودهما واضحة جدا للقارئ ، ولعلنا نكتشف المزيد عند تتبعنا لما قدّمه سيبويه في تحليله لهذا البناء وبتتبعنا لما قدّمه غيره في دراسة البناء نفسه ويظهر ذلك من خلال عرض نصوص سيبويه ومحاولة تحليلها.

وأول ما يلفت النظر في نصوص سيبوسه أننا نجده يفصل بين (أَفْعَـل)البناء الخاص بالألوان و(أفعل) البناء الخاص بالعيوب والأدواء ، ويقدّم بناء (افعل) للألوان ، فيقول : ((أما الألوان فأنها تبنى على افعل ويكون الفعل على فَـعِـل يفعَـل ، والمصدر على فُعْلَة أكثر)) (2) .

وبعد ذكره لما هو قياسي في الفعل الذي يصاغ منه البناء (أفعل) يذكر ما يمكن ان تتحمله حركة عين الفعل في صيغتي (الماضي و المضارع) ، فيقول : ((... وربما جاء الفعل على فَـعُلَ يفعُـل وذلك قولك: أدِم يأدَم أُدمة ، ومن العرب من يقول : أدُم يأدُ م أُدْمَة وشهِـب يشْـهَـبُ شُهْـبةً و قَـهِبُ يقهَب' قُـهْـبة، وكَهِبَ يكهب' كُـهْـبةً ، وقالوا كهُـبَ يكهُبُ كُـهْـبة ، وشَـهُـبَ يشهُـب شُـهْبة)) (3).

وهنا نلاحظ ان سيبويه استحضر لغات العرب الواردة في ابنية الافعال التي يصاغ منها البناء (أفعل) من جهة اختلاف حركة عين الفعل بين الكسر والضم ، وهذا يعني انه استحضر الافعال التي يمكن ان يتداخل في بنائها بابان من أبواب الفعل الثلاثي المجرد ، وهما الباب الرابع والباب الخامس ، على ان اصل الصياغة تكون من أفعال الباب الرابع . ثم يشير سيبويه الى انه قد يستغني عن الفعل المجرد بالفعل

المزيد ، فنقول ((وقد يُستغنى بافعالّ عن فَـعِـلَ و فـَعُـلَ ، وذلك نحو ازراقّ واخضارّ و اصفارّ و احمارّ و اشرابّ ، وابياضّ ، واسوادّ .واسود وابيض واخضر واحمر و اصفر اكثر في كلامهم ؛ لأنه كثير فحذفوه و الأصل ذلك)) (4).

فكأن الوزن (افعلّ) اصل (أفعالّ) ولكنهم استغنوا بالوزن الثاني عن الأول لكثرة الأول ، وهنا نلاحظ ان استطراد سيبويه الى ذكر هذه الأوزان المزيدة لم يأت اعتباطا بل كأنه في ذكره لهذه الاوزان يشير الى ان المتكلم يمكن ان يعبر عن تلون شئ ما بلون ما باستعمال هذين الوزنين بدلا من وزن (افعل) فيمكن ان يقال : اخضارّ الشيء أو اخضرّ الشيء بدلا من : شيء اخضر . فحروف الزيادة الداخلة على هذين الوزنين تتيح لهما أداء المعنى ، ولذلك قال سيبويه : ((وقد يستغني بافعالّ عن فـَعِـلَ و فـَعُـلَ)) (5) . ويبدو انه يقصد البناء (أفعل) المأخوذ من هذين الفعلين الثلاثيين ، مع ملاحظة الفرق الدلالي بين : اخضارّ الشيء وشئ أحضر، فالأولى جملة فعلية و الثانية جملة اسمية .

ثم يعود سيبويه مرة أخرى ليؤكد عنايته بالمصدر ، فتراه يذكر الألوان التي تأتى على وزن (فـَعـْل) ، فيقول : (وقد جاء شيء من الألوان على فُـعـْل ، قالوا : جـَوْن و وَ رْ دٌ 000)) ((6)) ، ثم يعلل هذا الاستطراد قائلا : ((وجاءوا بالمصدر على مصدر بناء أفعل ، إذ كان المعنى واحدا – يعني اللون – وذلك قولهم : الوُرْدة و الجـُوْنة)) (7) . فوحدة المصدر للوزنين (افعل وفعـْل) هي التي سوغت ذكر سيبويه لهذا البناء مما يكشف عن عنايته الفائقة بالمصدر واعتماده منطلقا مشتركا في دراسة الأبنية المختلفة .

وتظهر عناية سيبويه اللافتة للنظر بالمصدر بشكل جلي في نصه القائل : ((وقد يبنى على افعل ويكون الفعل على فَـعِـلَ يفعَـل والمصدر فَعَلٌ ، وذلك ما كان داء أو عيبا)) (8) . إذ نلاحظ في هذا النص ان سيبويه في تحليله للبناء (أفعل) فصل بين الوزن الخاص بالألوان والوزن الخاص بالعيوب والأدواء ، وتسويغ هذا الفصل إنما يأتي من اختلاف مصدر الوزنين ، اذ الأول مصدره على وزن (فُـعْـلَة) والثاني مصدره على وزن (فَعَلٌ).و هذا الأمر غاية في الدقة إذ اعتمده سيبويه منطلقا للفصل بين الوزنين في الدلالتين ، مما يعكس عناية سيبويه بالمصدر ويؤكد مذهب البصريين في ان المصادر اصل الافعال وهذا الأمر لا نراه عند الصرفيين الذين

تناولوا هذا البناء (افعل) بل لم يعتمدوا منهجا تحليليا كما اعتمده سيبويه مما جعلهم اغفلوا كثيرا من جوانب الدراسة الصرفية المتعلقة بالبناء (أفعل) ، وهذا ما سنجده عند عرض ما لدى الصرفيين غير سيبويه من المتقدمين والمحدثين .

نرى سيبويه بعد ذلك يعتمد الافتراض مبدأ في تعليل صياغة (افعل) الدال على العيوب والأدواء من غير أفعال الباب الرابع ، ويظهر ذلك في قوله:((وقالوا : رجلٌ أجذَم، وأقطع، ، وكأنَّ هذا على قطـــع و جَذِ م وان لم يُتكلم به))(9) .

و(أجذم) و(اقطع) مصوغان من الفعلين (قـــُطعَـــتْ) و (جُذِ مَتْ) ، فقياس الوصف منهما (مقطوعة) و(مجذومة) ، ولكن الواقع اللغوي المتكلم به جاء بالوصف من الفعلين (جَذِم) و(قطع) ، فافترض سيبويه لهما ان يكونا من الفعلين (جـــَذِمَ) و(قـــَطِـــعَ) ،وان كان الوقع اللغوي المتكلم به لا يسند هذا الافتراض ، ويبدو ان غاية سيبويه في ذلك هي محاولة سحب هذين الوزنين الى داخل القياس الصرفي القائل بان الوصف على وزن (افعل) إنما يصاغ من فعل ثلاثي مبني للمعلوم على وزن (فَـــعِـــلَ ، يفعـــَل) .

على ان هذا الافتراض لم يأت من فراغ ، بل نجد سيبويه يحاول تسويغه أو جعله واقعا لغويا

عند ما يقابله بصورة متشابهة له في الواقع اللغوي المتكلم به، فيقول:(كما يقولون شَـــتَـــرَ و اشتر وشَـــترت عينه .فكذلك قُـــطِعَت يدهُ وجُـــذِمَتْ....) (1)

ويتبع سيبويه مبدأ آخر في بيان مجي الأدواء والعيوب على وزن (أفعل) ويمكن تسميه هذا المبدأ ب(التعاكس الدلالي للفظة) ، إذ نجد لفظتين على الوزن نفسه ولكنهما تتعاكسان في الدلالة فتكون الأولى عكس الثانية أو ضدها في المعنى ، وهذا التعاكس الدلالي هو الذي اعتمده مسوّغاً في قوله : ((... وقالوا :أخلق و أملس واجرد ، كما قالوا : اخشن، فجاؤوا بضدَّه على بنائه ...))(11) . فواضح ان(أملس) عكس (أخشن) ، اذ فرقتهما الدلالة وجمعهما الوزن. وهذا التعليل لمجيء دلالتين متناقضتين على بناء واحد ، إنما يكشف عن طبيعة سيبويه الميالة الى تعليل ما يشعر بأنه بحاجة الى تعليل وتوضيح ، على ان هذا التعليل لا يخرج من دائرة المنطق اللغوي الفصيح ولا يدخل مطلقا في المنطق الفلسفي البعيد عن واقع اللغة وروحها ،

وهذا الأمر نجده واضحا في ظاهرة التعليل التي شغلت صفحات عديدة من الكتاب ،اذ هو تعليل مستوحى من داخل اللغة المنطوقة والمستعملة لا من خارجها .

وما تجدر الإشارة إليه ان سيبويه أخّر الكلام على مؤنث الوزن (افعل) ولم يخلطه مع مذكره ، فقال بعد ان استوفي الكلام على مذكر الوزن : ((واعلم ان مؤنث كلّ افعل صفة فعلاء وهي تجري في المصدر والفعل مجرى أفعل 000)) (12) وهذا يؤكد مرة أخرى عنايته اللافتة للنظر بالمصدر .

ويختم سيبويه تحليله للبناء (أفعل) بذكر ما يأتي على هذا الوزن من غير أفعال البابين الرابع والخامس ، مما يجعله خارج القياس الصرفي ، فيقول في ذلك : ((وقالوا : مال يميل

وهو مائل و أميل ، فلم يجيئوا به على مال يميل و إنما وجه فَعِلَ من أميل مَيل ((كما قالوا : في الأصيد صَيَداً . وقالوا : شاب يشيب كما قالوا : شاخ يشيخ ، وقالوا : أشيب كما قالوا : أشمط)) (13) .

فمجيء (أميل) من أفعال الباب الثاني ليس بالقياس وكذلك (أشيب) و(اشيخ) على ان هذين الآخرين يمكن ان يُعلَّلا بأنهما نائبان عن اسم الفاعل من هذين الفعلين اذ لم يُسمع (شائب) ولا (شائخ) ، ولا سيما ان (أفعل) هو من ابنية الصفة المشبهة باسم الفاعل فهذا يمكن ان يسوّغ مجيء (افعل) ، من غير البابين الرابع والخامس اما (مال يميل) ، فقد سُمِعَ- على ما ذكره سيبويه – اسم الفاعل والصفة المشبهة باسم الفاعل، فقالوا مائل وأميل ، مما جعله خارج القياس الصرفي .

وبذكر الأمثلة غير القياسية لهذا البناء يختم سيبويه تحليله للوزن (أفعل) ، ونراه في هذا التحليل متفردا يعتمد مبادئ و أصولا لا نجدها عند غيره من الصرفيين كما نجده في هذا القسم من الكتاب بحثا صرفيا بحتا .

على ان حقيقة هذا التفرد المنهجي لا تظهر إلا بمقارنته بما لدى علماء اللغة غير سيبويه من المتقدمين والمحدثين ممن تناولوا البناء (أفعل) بالبحث والتفصيل .

ولعل قيمة منهج سيبويه في التحليل تبرز اكثر إذا تتبعنا ما جاء في المؤلفات الصرفية القديمة والحديثة عن هذا البناء ، اذ ان توجه هذه المؤلفات نحو الصرف من دون النحو يجعلنا نفترض ان دراسة الأبنية – خصوصا – استأثرت بمنهج تحليلي واسع وشامل ؛ لانّ المؤلف الصرفي يمتلك المساحة والوقت الكافيين للبحث عن

جزيئات بناء ما اكثر مما يمتلكه المؤلف النحوي الذي يقسم وقته و مساحة كتابه بين النحو والصرف ، اذ يؤخذ الاختصاص بنظر الاعتبار في هذا الميدان .

ولكن الواقع ان ما نجده عند سيبويه من تحليل دقيق لهذا البناء ولغيره لا نجده عند آخرين ممن خصوا الدرس الصرفي بمؤلف آو مؤلفين ولعل خير دليل على ذلك عرض ما لدى هؤلاء للوقوف على حقيقة منهجهم ومحاولة تحليلها.

ولنبدأ بالمقتضب ، وان لم يكن مؤلفا خاصا بالصرف ألا ان البدء به له مسوّغاته اذ يعد من اقرب الكتب الى كتاب سيبويه من جهة زمن التأليف ومادته وليس من جهة المنهج ، لان المبرد (285هـ) اتبع أسلوب اللامنهج في هذا الكتاب ، فنجد الأبواب الصرفية عنده تتداخل مع الأبواب النحوية ، بل لا تأتي هذه الأبواب في مكان واحد بل في اكثر من مكان و بأكثر من شكل .

وإذا أردنا تضييق دائرة الوصف واقتصرنا على دراسة البناء (أفعل) سنجده يعطي لهذا البناء أثرا نحويا ولا يلتفت الى الوجه الصرفي منه ، اذ يقول المبرد في ذلك : ((اعلم ان ما كان من (أفعل) نعتا غير متصرف في معرفة ولا نكرة ، وذلك : احمر واخضر ، واسود . و إنما امتنع هذا الضرب من الصرف في النكرة ؛ لأنه أشبه الفعل من وجهتين : أحدهما انه على وزنه ، والثاني انه نعت ، كما ان الفعل نعت)) (14) . ويستمر المبرد في عرض متعلقات هذا البناء النحوية ولا يتطرق الى أي جانب صرفي بل يقتصر على الجانب النحوي حسب(15).

وإذا تركنا المبرد وجئنا الى الكتب التي اختصت بالكتابة في الحقل الصرفي دون النحوي ، وجدنا ان انفراد سيبويه في منهجه السابق الذكر يبرز بشكل أوضح ، اذ نجد القاسم بن محمد المؤدب يتناول هذا البناء في باب يعنونه ب(حكمٌ فيما تجعله العرب زائدا من حروف الزيادة) ، فيقول : ((... و إنما كان هذا زائدا وان لم يشتق منه ما تذهب فيه لكثرة ما تبين لك من هذا المثال مما يشتق ما تذهب فيه نحو : أحمر وأسود وأبيض ... واعلم ان الواو والياء والألف هي أمهات الزوائد ، والهمزة والتاء والميم أولا وهمزة التأنيث في مثل : حمراء ..)) (16).

اما ابو علي الفارسي (377هـ) فانه يتناول هذا البناء في (باب ألف التأنيث التي تلحق قبلها ألف فتنقلب الآخرة منها همزة لوقوعها طرفا بعد ألف زائدة) ، فيقول : ((اعلم ان أبنية الأسماء التي تلحق هذه العلامة على ضروب : فمنها :

فعلاء وهي لا تكون أبدا ألا للتأنيث وإلا تكون همزتها إلا منقلبة عن ألف ... وتكون اسما وصفة ...)) (17).

ولا نجد ابن جنى (392 هـ) يبتعد كثيرا عن المنهج الذي سار عليه ابو علي الفارسي ، وذلك في شرحه لتصريف أبي عثمان المازني ، اذ قال في حديثه عن زيادة الهمزة والياء : ((انك إنما قضيت بزيادة الهمزة والياء إذا وقعتا في هذا الموضع وان لم تعرف الاشتقاق لأنك لا تشتق شيئا على هذا المثال في أوله همزة أو ياء إلا أصبحتا فيهما زائدتين ، ألا ترى ان ابيض من البياض واسود من السواد واحمر من الحمرة واخضر من الخضرة ، وكذلك جميع ما يرد من هذا النحو ، فإنما عُـمِـلَ ما عُـمِلَ على ما يعرف ويقاس النائب بالشاهد))(18).

وهكذا فعل ابن يعش (643هـ) حينما تناول هذا البناء في إطار حديثه عن زيادة الهمزة ، فقال : ((واغلب أحوالها ان تقع في أول بنات الثلاثة من الأسماء والأفعال ، فإذا رأيت بعدها ثلاثة أحرف أصول فاقض بزيادة الهمزة هناك 000 نحو أحمر و اصفر واذهب ...)) (19).

وفي مقابل ذلك نجد رضي الدين الاستربادي (686هـ) يتناول (أفعل) تناولا مختلفا ، اذ لا يتكلم في تناوله هذا على زيادة الهمزة ، بل يخص فيه البناء (أفعل) بدراسة صرفية تختلف عمّا سبق ولكنها لا تقترب من منهج سيبويه الذي مر وصفه ، اذ يقول الاستربادي : ((وما كان من العيوب الظاهرة كالعور والعمى ومن الحلى كالسواد والبياض والزَّبب والرَّسح والجرَد و الهضم والصلع ، ان يكون على أفعل ومؤنثه فعلا ء وجمعها فُعْـل ، فمن ثم قيل في عمى القلب عمٍ ، لكونه باطنا وفي عمى العين أعمى ...)) (20).

وهنا نلاحظه قد جمع بين مذكر البناء ومؤنثه وصيغة جمعه ، وهذا ما لم نجده عند سيبويه ، اذ أنه قدم الكلام على مذكر البناء وفصل فيه ثم ذكر مؤنثه ولم يتطرق الى صيغة جمعه .

وفضلا عما سبق ذكره فان بدر الدين العيني (855 هـ) ينهج منهجا يختلف عن الخطين السالفي الذكر ، وهو منهج صرفي أيضا ، ولكنه يختلف عما اختطه رضي الدين الاستربادي ، اذ جاء في شرح المراح : ((هذا شروع في بيان الاوزان التي تجيء لاسم الفاعل مخالفة لزنة الفاعل ، وذلك نحو : فِـرَق ... واحول من

الحَـول وهو من العيوب ، وقوله (وهو يختص) أي : زنة افعل من الألوان والعيوب ، نحو : احول يختص بباب فَـعِـلَ بكسر العين ، نحو صَور وعَـورَ و دَعِـج ، إلا ستة أبواب تجيء من فـَعُـلَ – بضم العين – الأول نحو : أحمق من حـَمُقَ ، والثاني : اخرق من خـَرُقَ ، ضد الرفق وهما من عيوب النفس ، والثالث : نحو آدم من أدُم

وهو من الألوان . الرابع : نحو : أرعن من رَعـُنَ أي حَـمِـقَ وهو أيضا من عيوب النفس . والخامس : نحو اسمر من سَـمُرَ ... والسادس : أعجف من عـَجُفَ...)) (21).

وإذا أعدنا النظر فيما تقدم من نصوص صرفية في تناول البناء (أفعل) لاحظنا اختلاف الخطوط المنهجية لكل المؤلفين ابتداء من سيبويه وانتهاء ببدر الدين العيني ، اذ يلفت النظر ان المادة المتناولة من لدن المتقدمين واحدة و الأمثلة واحدة – الى حد ما – إلا ان زوايا النظر الى هذه المادة مختلفة ، وفى الوقت الذي نجد فيه سيبويه يركز عنايته على افتراق المصدر بين (افعل) الخاص بالألوان و(افعل) الخاص بالعيوب والأدواء ، يطالعنا كل من القاسم بن محمد المؤدب وأبى علي الفارسي وابن جني وابن يعيش بتناول هذا البناء في إطار كلامهم على حروف الزيادة ومواضعها ،في حين يختلف منهج كل من رضي الدين الاستربادي والعيني في تناول هذا البناء على نحو ما وضحته النصوص المستلة من مؤلفاتهم وإذا كنا في وضع مفاضلة ومقارنة بين هذه المناهج ، فإننا سوف نقول بشمولية منهج سيبويه وانفراده فيه إذ لم نجد أحدا من الصرفيين على ما اطلعنا عليه من مصادر تبعه فيه كما انه قدّم صوره شاملة ودقيقه لهذا البناء نكاد لا نراها عند غيره هذا الى جانب ان ما تقدم من نصوص كشفت عن ان المتقدمين كانوا يولون بعض جوانب هذا البناء العناية دون جوانب أخرى وهذا لا يتفق مع شمولية سيبويه في منهجه.

و انفراد سيبويه في منهجه يظهر إذا تتبعنا تناول هذا البناء عند المحدثين أيضا ، ولكن ما تجدر الإشارة إليه ان المحدثين يكادون يسيرون على خط منهجي واحد يتجه نحو التعليمية أي اتباع المنهج التعليمي في عرض المادة العلمية والاختصار واستعمال المصطلحات البسيطة الواضحة ، وربما يُـعـَلل ذلك بالميل الى

تيسير الدراسة الصرفية ومحاولة مواكبة عصر التأليف الذي هم فيه ، وتحقيق غاية إيصال المعلومات بصورة مبسطة الى القارئ .

ومن ذلك مثلا ما جاء عن الدكتور عبد الرحمن شاهين ، اذ قال : ((أفعل الذي مؤنثه (فعلاء) مثل : حَمِرَ فهو أحمر وهي حمراء ، لَمِيَ فهو ألمى وهي لمياء...)) (22)

ولا يختلف عن ذلك ما ذكره الدكتور عبده الراجحي حين قال : ((إذا كان الفعل على وزن (فَعِلَ) فان الصفة المشبهة تشتق على ثلاثة أوزان : ب- أفعل الذي مؤنثه فعلاء ، وذلك إذا كان الفعل يدل على لون او عيب او حلية ، مثل : حَمِرَ: احمر حمراء حَوِل :أحول حولاء ....)(23).

وهذا قريب مما ذكره الدكتور محمد ابو الفتوح ، اذ قال : ((أفعل – فعلاء : فما دل على لون او عيب او حلية ، مثل : اصفر صفراء ، احمر حمراء و أعشى عشواء ... ونلاحظ وصفيا لا تغير في هذه الأبنية سوى تغير الوزن وقلب الألف واوا في (عشواء))) (24).

وهكذا بقية المصادر الحديثة (25) التي تناولت هذا البناء لم تخرج عن هذا المنهج التعليمي الميال الى الاختصار والبساطة والوضوح ، إلا ان الدكتور فاضل السامرائي خرج عن هذا المنهج في تناوله الأبنية الصرفية ، وهذا له ما يسوّغه اذ انه يتناول هذه الأبنية تناولا دلاليا اكثر مما هو صرفي ، إذ اعتنى كثيرا بدلالة الأبنية ومعانيها التي تؤديها حين تأتي على الاوزان المختلفة ، لذلك كانت دراسته مختلفة تماما عما وجدنا عند غيره من المحدثين ، و لنأخذ مثالا على ذلك ما جاء في كلامه على دلالة (أفعل) ، اذ قال : ((أفعل : ويكون وصفاً للألوان والعيوب الظاهرة و الحلى من خلقة أو ما هو بمنزلتها ، فالألوان نحو: أحمر و أزرق والعيوب الظاهرة نحو أعمى وأجهر واعور أعشى ...)) (26).

ونراه في هذا الموضوع يفسر نص سيبويه الذي جاء فيه : ((اما الألوان فإنها تبنى على أفعل ...)) (27) ، فقال : (من هذا اتضح ان بناء (أفعل) يختص بالصفات الظاهرة مما كان خلقة أو بمنزلتها فالأعسر مثلا هو الذي يعمل بيسراه من العَسَر ولكن (العسير) من العُسْر والقدير من القدرة ولكن (الأقدر) القصير العنق،

والقصير معروف ولكن (الأقصر) من فيه يبس في العنق من داء لا يستطيع الالتفات)) ..(28).

ويمضي الدكتور فاضل السامرائي في سرد الأمثلة التي تدخل في دائرة توضح اختصاص بنية (أفعل) بالصفات الظاهرة ، مستمدا ذلك من كلام سيبويه، على انه في ابتعاده عن المنهج التعليمي الذي وجدناه عند غيره من المحدثين لم يقترب من منهج سيبويه التحليلي ، اذ ركز عنايته على دلالة الأبنية دون وجهها الصرفي لذلك عَنوَنَ مؤلفه ب (معاني الأبنية).

و بعد فإننا لا نجد في المصادر الحديثة- على ما سبق ذكره – مَنْ تبع سيبويه أو اقترب من منهجه في دراسة هذا البناء و تحليله تحليلا صرفيا دقيقا ، و على الرغم من ان كتاب سيبويه يمثل أوليات التأليف النحوي والصرفي ، وان ظاهرة الاختصاص في التأليف في أحد هذين العلمين لم تعرف بعد ، إلا ان سيبويه استطاع ان يسير على وفق خط منهجي فريد من نوعه ليس على المستوى النحوي فحسب ، بل على المستوى الصرفي أيضا ، على ان هذا الخط يظهر بشكل أوضح وابرز إذا ما تخصصت دراسة بالوقوف على تفاصيل المنهج الصرفي في الكتاب ، وهذه دعوة من البحث لتخصيص دراسة كهذه في هذا المستوى المهم من مستويات الدراسة اللغوية ، اذ ما زال المستوى الصرفي في حاجة الى توظيف الكثير من الوقت و الجهد لسبر أغواره و الوقوف على حقيقته و جوهره ، ويتحقق هذا من خلال تخصيص المزيد من الدراسات التي تلقي الضوء على هذا المستوى ولاسيما من خلال الوقوف على مصادر المتقدمين ومناهجهم في الدرس الصرفي .

الهوامش

(1) تناول الباحث مكي نومان الدليمي هذه المؤلفات ومناهجها بالبحث والتفصيل وذلك في دراسته الموسومة ب(البحث النحوي في العراق في الكتب والرسائل الجامعية 1968 – 1994، دكتوراه) .

(2) الكتاب : 4 / 25

(3) الكتاب : 25/4

(4) الكتاب : 26/4

(5) الكتاب : 26/4

(6) الكتاب : 26/4

(7) الكتاب : 26/4

(8) الكتاب : 26/4

(9) الكتاب : 26/4

(10) الكتاب : 26/4

(11) الكتاب : 27/4

(12) الكتاب : 27/4

(13) الكتاب : 27/4

(14) المقتضب: 311/3

(15)ينظر : المصدر نفسه 311/3

(16) دقائق التصريف : 368-371

(17) التكملة:320-321

(18) المنصف : 101/1-102

(19) شرح الملوكي في التصريف : 135-136

(20) شرح شافية ابن الحاجب : 144/1

(21) شرح المراح في التصريف : 117-118

(22) في تصريف الأسماء : 201.

(23) التطبيق الصرفي : 79 .

(24) نظرة وصفية في تصريف الأسماء : 66.

(25) ينظر على سبيل المثال : الصرف الوافي ، د. هادي نهر : 105، وبهجة الطرف في فن الصرف ، حسن رمضان فحلة : 76.

(26) معاني الأبنية :84 .

(27) الكتاب : 4/ 25 .

(28) معاني الأبنية : 86 .

مصادر البحث

1. بهجة الطرف في فن الصرف ، حسن رمضان فحلة،دار الهدى،عين مليلة،الجزائر.
2. البحث النحوي في العراق في الكتب والرسائل الجامعية 1968-1994، مكي نومان مظلوم، رسالة دكتوراه، كلية الآداب،جامعة بغداد ،1997م .
3. التطبيق الصرفي،د.عبده الراجحي،دار النهضة العربية للطباعه والنشر،بيروت،1979م.
4. التكملة،أبو علي الفارسي (ت377هـ) ، تحقيق ودراسة. د. كاظم بحر المرجان ، دار الكتابة والطبع والنشر ، جامعه الموصل ، 1981م.
5. دقائق التصريف ، القاسم بن محمد بن سعيد المؤدب (من علماء ق 4 هـ) تحقيق: د. احمد ناجي القيسي و د . حاتم الضامن و . د. حسين تورال ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1987م.
6. شرح شافيه ابن الحاجب ، رضي الدين الاستربادي (686هـ) مع شرح شواهده ، تحقيق : محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر العربي ، بيروت لبنان،1957م.
7. شرح المراح في التصريف ، بدر الدين محمود العيني (855هـ) ، تحقيق : د.عبد الستار جواد ، مطبعة الرشيد ،د.ت.
8. شرح الملوكي في التصريف ، ابن يعيش (643هـ) ، تحقيق: د . فخر الدين قباوه ، المكتبة العربية ، حلب ، الطبعة الأولى،1973م.
9. الصرف الوافي / دراسة وصفية تطبيقية في الصرف وبعض المسائل الصوتية/ د.هادي نهر مطابع التعليم العالي ،1989م.
10. في تصريف الأسماء ، د. عبد الرحمان شاهين ، مكتبة الشباب ، مصر ، 1977م.
11. الكتاب ، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (180هـ) ، تحقيق وشرح :عبد السلام هارون ،القاهرة، مصر، الطبعة الثانية ،1982م.
12. معاني الأبنية في العربية ، د. فاضل صالح السامرائي ،جامعه الكويت ، كليه الآداب ،الطبعة الأولى ،1981م.

13. المقتضب ، ابو العباس المبرد (285هـ) ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمه ،عالم الكتب ، بيروت ، د.ت.
14. المنصف شرح الأمام آبي الفتح عثمان بن جني (392 هـ) لكتاب التصريف للأمام آبي عثمان المازني النحوي ، تحقيق : لجنه من الأستاذين إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ،الطبعة الأولى ، 1954م.
15. نظرة وصفية في تصريف الأسماء د. محمد ابو الفتوح شريف، مكتبه الشباب ، مصر،1985م.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.